المفتتح

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه والتابعين

أما بعد

فيعـــاني بعض الـــدعاة الإســـلاميين من مشـــكلة تراجع الـــزخم الجماهيري تجـاه خطابه الـدعوي، حيث يلقي مئـات المحاضـرات والـدروس، ولكن دون تأييد اجتمـاعي، أو قبـول شـعبي ...... فما السبب؟

السـبب أكـثر من أن يحصى في نقطة واحـدة، بل هي أسـباب مجتمعة ومتنوعـة، ولكن ما أحب الإشـارة إليـه، هاهنا على وجه السرعة في هذه التعليقة الموجزة هو **التنصيص على عوامل مصداقية الخطـاب الـدعوي،** وهي المعـالم الـتي إذا اختطها الداعية إلي اللـــه، حقق شـــيئاً من أهدافـــه، وبلغ بعض أمانيه التأثيرية والتغييرية بإذن المولى الحكيم.

وهـذه العوامل إذا وعاها الـدعاة أصـلحوا أنفسـهم، وراجعـوا خطـابهم، وصـححوا مسـالكهم، وزحـزح أتباعها مكـامن الخلل والتقصير، فكأنها موجبة لزوال مسببات الضعف الدعوي.

فليست المسألة مجرد حشد للمعلومـات، أو تنميق للعبـارات، أو التعلق بـألوان الفضـائيات!! كلا بل هو شئ آخر من الاسـتعداد النفسي والـروحي والعلمي والاجتمـاعي، نسـوقه في العناصر التاليـة، نسـأل الله عزوجل أن يبلغنا معاقد الصـدق، ويمن علينا بمباهج الإخلاص، الـذي يجعل القلب فارغـاً من كل شئ إلا محبة الله، وابتغاء رضاه ونواله، إنه جواد كريم.

السبت 26 محرم 1432هـ
1 يناير 2011م

1) **الألفاظ الخالصة:-**

قال تعالى: " فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (2) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ " (سورة الزمر)

يجمع الدعاةُ العلم، ويُحرزون الكلمات، ليؤدونها أداء جميلاً آسراً، على النـاس، ولكن يهمل بعضـهم صـيغ تلك الألفـاظ بمصـبغة الإخلاص لله تعالى .... والتجرد من الحظوظ النفسـية والدنيويـة، التي تعكر المسار، وتصرف الناس عن الهدف الدعوي

فيكثر الداعية الكلام، وتتقلب صوره على الفضـائيات، ولكن دون جدوى!! يحس الناس منه قصد الشـهرة، أو الفوقيـة، أو التعـالي بالألفـاظ، أو الحـديث عن النفس كثـيراً، أو محابـاة السـلاطين، فيشعرون بانعدام جذور الإخلاص لديه، وأن ألفاظه ألفاظ دنيوية، خرجت من نبع الشهرة وليست ألفاظـاً آخرويـة، خـرجب من نبع القرآن والحب لله تعالى.

عندها يحس المتلقي أن تلك الألفـاظ، كالجلاميد الحـادة، وليست كالأنداء اللطيفة، وأنها لا تغير من حياته شـيئاً ولا تزيد إيمانـه، ولا توقف تفكـيره، بل يحـرص على تجاوزها حينئـذ، لأنه لا بركة في عمل بلا إخلاص!!.

ولا أثر لمحاضـرة أو درس ما ابتغى صـاحبها إلا تسـويق نفسـه، وليس تسويق الإسلام، وخدمة قضاياه الدعوية والفكرية!!

قال تعالي: " **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ " وقـال صـلي الله عليه وسـلم " من يسمع يسمع الله به، ومن يرائي رائي الله به** ".

2) **الجمل الشفيقة:-**

قـــال تعـــالي: "فَبِمَا رَحْمَـــةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ " (آل عمران:159)

ونعني بها الجمل الـتي تـوحي للنـاس بالرحمة والاهتمـام وحسن الرعايـة، وتتجـاوز أسـاليب العنف والقسـوة والصـلف، الـتي قد يتورط فيها بعض الدعاة، بـدعوى الغَـيرة على الإسـلام أو المنهج الصـــارم، أو التربية الجـــادة، وهي أبعد ما تكـــون عن ذلك كله لانعدام الفقه، وجفاء الحكمة، وغياب الوعي!!!

إنَّ الجُمل الشفيقة لا تعني الإهمال، أو ترك الجد والحزم، بل إنها رسائل وقوالب حانية، مسـتوعبة لكل القضـايا الجـادة، والمنـاهج التربوية الرصينة، ولكنها تحسس المستمعين بمحبة الداعيـة، لهم واتصـــاله بهم، وإحساسه بقضـــاياهم، بل عيشـــها، وحملها بكل

مصـداقية واعتنـاء كما قـال تعـالى في وصف رسـوله صـلي الله عليه وســلم "**فَلَعَلَّكَ بَــاخِعٌ نَفْسَــكَ عَلَى آثَــارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً" (الكهف:6)**
أي تكاد تقتل نفسك غما على عدم استجابتهم، واعراضهم عنك.
وكمال قال مؤمن آل فرعـون " **فَمَنْ يَنصُـرُنَا مِنْ بَـأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا " (غــافر : 29)** فأشــرك نفسه معهم في البــأس المحتوم على وجه الإشفاق والخوف عليهم...

3) المشاركة الميدانية:-

وهي شـكل من أشـكال التطـبيق العملي لآلاف الكلمـات، الـتي فاضت بها حنجـرة الداعيـة، وكـانت عبـارة عن أوامر ومنهيـات وتوجيهـات وحـوافز، ينـدب الداعية فيها إخوانه المسـلمين إلي المســارعة تحقيقا لقوله تعــالى: **" فَاسْــتَبِقُوا الْخَيْــرَاتِ" (سورة البقرة: 148)...**
ولكن من يؤكد للنـاس سـبق الداعية إلى مثل ذلـك، إذا لم توجد مشاركة ميدانية، وتطبيق عملي، يقدمه للناس، ليـبرهن على حبه وحرصة ومصداقيته الفريدة ....
فحينما يحض النــاس على النفقـــة، لابد أن يكــون أو المنفقين، ويعرو عن البخل ويكفل الأيتام، ويعود مرضاهم، ويحل مشاكلهم، حسب استطاعته!!
لأن الانــزواء في الـبيوت، ومعانقة المكتبـات بديمومة راسـخة، وعـدم الظهـور إلا أثنـاء الـدروس، يجعل النـاس يحسـون بفجـوة بينهم وبين الشيخ المربي، ويتسـاءلون لمـاذا لايحضر أفراحنـا، أو يحل مشاكلنا، ولا يعزينا، ولا يخالط أحوالنا؟!!
ومثل هـــذه الأســـئلة ســـتحفر في الـــذاكرة أشـــياء ســـلبية، والمستحسن تجاوزها بحسن المشاركة، والتطبيق العملي للسـنة والأخلاق الحميدة، الـتي قد لا تكلف الداعية كثـيراً، بل سـيجل له مواقف جميلة في عيـــون محبيه ومتابعيـــه، انظر الى مشـــاركة رســـول الله لأصـــحابه في حفر الخنـــدق، وقتاله في المعـــارك، وجوده بماله ونفسه وملابسه في سـبيل اللـه، كيف عائـدتها على الناس؟!!
ووقوفه على مشاكل النـاس، والصـلح بينهم، وخروجه في قضـاء حوائجهم وغيرها.

4) النفع الإجتماعي:-

وهو شئ من المشاركة الميدانية بل تفوقه أحياناً، عندما يضطلع الداعية بشئ من العمل الخيري والإغاثي والتعاوني للناس، فيعظم حبه عندهم، ويُظهر شكلاً من مصداقيته، وأنه يحمل همومهم، ويستشعر مشاكلهم، بل يسهر في حل بعضها، لاسيما الفقر، والظلم، والجهل، والتخلف، والنزاعات.

وهو بذلك يحقق فوائد مهمة للمصداقية:-

1) تصديق مقالاته، والبرهنة على محبة الناس وإرادة الخير لهم.

2) الانتقال من عالم القول إلى (**عالم الفعل**) والمخالطة، وكشف الفرق بين النوعين.

3) توسيع دائرة قبوله وشعبيته .

4) تعزيز تواضع الدعاة، وحسن أخلاقهم، وانهم ليسوا بمعزل عن مشكلات الناس وحوائجهم، كما **(كان صلي الله عليه وسلم لا يكاد يرد سائلاً، وتأتيه الجارية من نساء المدينة، فتأخذه إلى حيث شاءت حتي يقضي حاجتها) كما ثبت في الصحيحين**

وقيل البعثة سطرت فيه خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ألفاظاً من ضياء عندما قالت: **"كلا والله، ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتَحمِل الكَلَّ، وتقري الضيف، وتُكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق**" .

وهذه فضائل اجتماعية استحملها رسول الله ليصدق دعوتهَ، ويحدث التغيير المطلوب في حياة الناس، وهي مقدمه ضرورية للإصلاح والتغيير، نبهنا عليها في رسالة هامة : بعنوان (**مقدمات التغيير النبوي)** راجعها إن شئت.

5) الانشراح الصدري:-

قال تعالى: " فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ" (الأنعام:125) وهو حالة من السرور تعتري المتحدث، فينساب كلامه انسياباً، بلا تكلف ولا ضيق وتشدد، فيحس مستمعوه بسهولته، وتباعده عن التكلف، كأنما يغرف من ماء، فيقع منهم موقع الحب والقبول.

وانشراح صدره بوابة إلي قلوب الناس، حيث إنه علامة على التوفيق والمصداقية، التي يريدها كل الناس

قال تعالي في موضع الامتنان على رسوله صلي الله عليه وسلم: **" أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " (الشرح : 1**) ولو لم

يكن ثمة شرح صدر، لما انشرح للنصح والتذكير، ويلقى الناس كلامه بالقبول والخضوع!.

وهي أول دعوة سـألها موسى كليم الله تعـالى لما انطلق إلى فرعون **الطاغية (قَالَ رَبِّ اشْـرَحْ لِي صَـدْرِي* وَيَسِّـرْ لِي أَمْرِي) (طه :25-26)**

إن شرح الصدر، نتيجه طبيعية للألفاظ المخلصة، التي خـرجت من فؤاد متـذلل منقطع لله تعـالى ، وهو علامة حسن التـدين، وديمومة والمراجعة والمحاسبة قال تعـالى: **" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً " (الطلاق :4)**

وحسن التـدين دائر حـول جـوهر التقـوى والمراقبة للـه، الـتي تعلي جنـــاب التوحيد والرغبة والرهبة لله الواحد الأحد تبـــارك وتعالى.

قال تعـالى : " إِنَّمَا يَخْشَـى اللَّهَ مِنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَـاءُ " (فاطر: 28)

يتكلم الداعية الصـدوق السـاعات المتوالية فلا يضـيق صـدره، ولا تتعب نفسه، والمـرائي لا يسـتطيع الكلام دقـائق محـدودة، بسبب التكدير الداخلي، والهوان السلوكي، والله المستعان.

6) <u>التغطية الواسعة:-</u>

قـال تعـالى(ما فرطنا في الكتـاب من شئ) (النحل :38)

لا يكاد يمر ب بالداعية الحصيف، قضـية اجتماعية تهم النـاس، وهو قادر على الحديث فيها إلا ويتحدث فيها، وتشعشع نعمـاؤه على الناس، ويعلمهم ما ينفعهم بلا منةٍ ولا إجحاف.

فتجـده ينـوّع حديثه من قضـايا عقدَية إلي آداب سـلوكية، إلي مسـائل أحكامية ثم يبحر في مواعظ قرآنيـة، ودروس نبويـة، إلى أن ينتهي إلي أحـاديث قصصـية، وسـير تاريخيـة، وتنبيهـات فكرية ....!! فهو منـوَّع الطـرح، واسع العقـل، عميق الاطلاع، يفيد الناس في كل جهـة، عن قـدرة وتمكن، وليس تطـاولاً أو إدعاً!!.

وهذا نوع من جمهور الدعاة، قد يحسنون ذلك، أما سواهم من محـدودي القـدرات، فهـؤلاء يبقـون على تخصصـاتهم المتقنـة، كالوعظ أو السـير، أو الإرشـادات الاجتماعية وما شـابه ذلك والله ولي التوفيق.

7) <u>تطبيب الجروح:-</u>

من القضايا الاجتماعية قضايا حساسة، تهم مصالح الناس، يتعامل معها الشيخ الداعية كالطبيب الذي يحاول علاجها بالتشخيص، ثم يصرف الدواء كالصيدلاني، فهو هنا (**الداعية الطبيب)** الذي يعالج بكل رحمة وإشفاق وحنّو..... نحو مشاكل الفقر والجهل، والمرض، والتربية، والإصلاح، والبطالة، والأسر والأحياء، التي يحس الناس بحاجتهم إلى المنقذ المرشد لحلها.

فيأتي أخونا الداعية اللبيب ليضع عليها بلاسم الشفاء، وأنداء الراحة، فيريل غما، ويفرج كرباً، ويدفع بلاءً وحسرة، ويوغل في الجوانب الإيمانية إلي تشرح الصدور، وتداوي الكروب، وتفتح نسمات الحياة، ومباهج النور لطالب العمل والجد والتغيير.

وهذا الأسلوب مما يعزز حب الناس للداعية، ويورثه المصداقية، وأنه لا يعيش خارج الحدود، أو يغرد نائياً عن السرب، بل هو في خضم المشكلة، يعيش آلامهم، ويتبرم لأحزانهم ومشكلاتهم.

8) الاستعفاف الدنيوي:-

قال تعالى: " وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)" (سورة طه).

فكلما تباعد الداعية عن مفاتن الدنيا صحت نفسه، وصدقت كلمته، واكتسب محبة الناس.

والدنيا المُستعف منها هنا ما يلي:-

1. الانفتاح الدنيوي الغالي، الذي يرُهق النفس، ويورثها الغرور والترفع.
2. أموال الشبهات، كبعض المسائل الربوية، والأموال المختلطة وما شابه ذلك.
3. دنيا المتنفذين الذي عرُفوا بجمع المال من غير وجه، وتشغيله في مغاضب الله تعالى..

أما أن يصبح الداعية تاجراً فلا حرج في ذلك، إذا أتى البيوت من أبوابها، وتوقى لدينه ودعوته، **وكان (سمحاً إذا باع واشترى، وإذا اقتضى) كما في صحيح البخاري.**

وقد اتجر أبو بكر وعثمـان وطلحة والزبـير وابن المبـارك وأبو حنيفة وكـانوا خـير مثـال للصـدق والنزاهة رضي الله عنهم أجمعين.

9) النزاهة النفسية:-

قـال تعـالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـوا لِمَ تَقُولُـونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُـونَ " (سورة الصف : 2-3)

والمعـنى طهـارة النفس من كل الشـوائب والمخالفـات الـتي يدرك الناس أنها مما يشير الداعيـة، أو ينسف دعوتـه، مما هو مخالفة شـرعية صـريحة، أو منافية للآداب العامة كقضـايا الأخلاق والمروءة فإنهم وإن تغاضوا عن المـروءة لا يتغاضـون عن المحرم الصريح، أو المكروه البين !!

قال تعـالى عن شـعيب عليه السلام: " وَمَا أُرِيـدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَـاكُمْ عَنْـهُ إِنْ أُرِيـدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ " (سورة هود: 88)

وطـالب الإصـلاح لا يمكن له مناقضه توجيهاته أو المجاسـرة على المكروهـات، أو الجهالة في الخلـوات، وتمثيل التـدين بلا حقيقة أو برهان، والله المستعان.

ومن النزاهة تجنب الشـبهات ومما قد يسـاء الظن فيه نحو المعاملات المختلطة، أو الوسائل الملتمسة، وقد اشـتهر قـول عمر رضي الله عنه:

" من أورد نفسه موارد التهم فلا يلومن إلا نفسه "

وإن من النزاهة التـورع حـتى في المنطـق، والملبس، والسلوك، والبدوّ وبالصـورة الجمالية للداعية المسـلم... والله الموفق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه...